

القصة السادسة

ويقول مؤلف كتاب توحيد المملكة العربية السعودية، ص: ٢٩٥، وما بعدها عن قصة اكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية:

"بتوحيد وسط الجزيرة العربية وظهور حكومة مستقرة في المنطقة أصبح محتملاً أن يشرع عمالقة التجارة من العالم الخارجي في التساؤل عن الكنوز التي يحتمل أن تكون تحت رمال صحراء بلاد العرب، ويعدوا العدة للسماح لهم بالبحث عنها.

وكان احتمال وجود زيت في البلاد معروفاً قبل ذلك فمئذ سنة ١٩٢٠م كان الزيت يستخرج في العراق وإيران اللتين تشبهان المملكة في الخصائص الجيولوجية".

وقد تم توقيع أول امتياز للتنقيب عن الزيت في المملكة سنة ١٩٢٣م (١٣٤٢هـ).

فقد استطاع مغامر نيوزيلندي اسمه ميجور هولمز، نيابة عن جماعة إنجليزية تسمى "استرن اند جنرال سينديكيت" ^(١)، أن يتصل بابن سعود ^(٢).

(١) أي (Eastern and General Syndicate).

(٢) المقصود الملك عبدالعزيز، وهو الاسم الذي كان يطلق عليه في الغرب.

وبعد شهور من المداوولات غير المنتظمة منح امتياز التنقيب عن الزيت والمعادن في منطقة الأحساء .

ولم يكن أحد يعرف حينذاك أن المنطقة التي يغطيها الامتياز كانت تحتوي تقريباً على كل احتياطي الزيت في المنطقة الشرقية الذي يعتمد عليه العالم بدرجة كبيرة في الوقت الحاضر .

ويضيف : وكانت مدة الامتياز سبعين سنة يدفع صاحبه إلى ابن سعود كل سنة مبلغ ألفي جنيه ذهبي مقدماً ، وقد بدأ الطرفان راضيين بالاتفاقية .

فهولز حصل على أفضل شروط وابن سعود كان سعيداً جداً أن يدفع له (الأجانب) ذلك المبلغ سنوياً مقابل لا شيء . ذلك أنه كان يخشى (*) بأن الله قد أنعم على بلاده بالكثير من الرمال والقليل مما سواه ، وأن أولئك الأجانب سيكتشفون عدم وجود زيت في البلاد .

ولعله من الغريب أن الجماعة التي حصلت على الامتياز لم تجر تقنيات جدية ، وإنما بعد أن دفعت الإيجار لمدة سنتين بدأت تفقد الاهتمام بالموضوع ، وتوقفت عن دفع الإيجار ثلاث سنوات .

وفي سنة ١٩٢٨م أنهى الملك (عبدالعزیز) الامتياز ، وكان في تلك المرحلة يعتبر هولز مديناً بمبلغ ستة آلاف جنيه ذهبي ، وكان لهذا أهمية في قصة الزيت مستقبلاً .

(*) في الأصل : يعتقد .

ولم يحدث مزيد من الاتصالات للحصول على امتياز للتنقيب عن الزيت حتى سنة ١٩٣٠ م.

وفي تلك السنة كان الملك يعاني مشكلة مالية شديدة. ذلك أن الأزمة الاقتصادية العالمية قد سببت نقصان عدد الحجاج بدرجة كبيرة فهبطت واردات جلالته هبوطاً حاداً.

ورغم عبقرية ابن سليمان فقد أصبح الوضع خطيراً جداً وواجه الملك (عبدالعزیز) صعوبة في دفع ديونه الأجنبية وفي صرف رواتب موظفيه .

ومع هذا - يقول المؤلف - لا أظن أنه قد فكر في استغلال الثروات المعدنية في بلاده حلاً لمشكلاته المالية حتى اتصل به المليونير الأمريكي تشارلز كرين . وكان كرين صاحب نفوذ كبير في أوساط رجال الأعمال في بلاده .

كما كان وزيراً أمريكياً سابقاً في الصين ، وأحد الأمريكيين المعينين في لجنة كنج - كرين لدراسة موضوع سوريا وفلسطين سنة ١٩١٩ م . وقد زار اليمن ، لذلك فإنه كان على صلة بالشرق الأوسط .

وقد نمت لديه رغبة صادقة ، وإن تكن شاذة أحياناً في تقديم الدولة الناشئة في المنطقة .

والواقع أنه لم يكن مجهولاً لدى الملك . ففي شهر ديسمبر سنة ١٩٢٦ م وردت الرياض برقية من جنيف عن طريق وزارة الخارجية في الحجاز(*) ، وكان نصها :

(*) المقصود عندما كان مقرها الرئيسي في مكة المكرمة .

"إلى صاحب الجلالة الملك ابن سعود .

إنني مهتمّ بالجزيرة العربية وراغب في مقابلة جلالته إذا سمحتم بذلك .

تشارلز كرين ، صديق العرب " .

ويعلق المؤلف على البرقية بقوله : وسواء كان صديقاً للعرب - أي تشارلز كرين - أم لا فإن الملك (*) لم تكن لديه حينذاك أية فكرة عمّن هو كرين ولا عما يريد . ولم يكن بالتأكيد لديه وقت لمقابلة كل أجنبي يرغب في أن يراه .

ولذلك فقد أمر - أي الملك عبد العزيز - وزارة الخارجية بأن ترسل إليه برقية الاعتذار المؤدبة التالية :

"ليس الوقت ملائماً لحيئكم لأن جلالته مشغول بموسم الحج القادم وبقضايا داخلية" .

ولم ييأس كرين فأبرق ثانية من القاهرة سنة ١٩٢٧ م قائلاً :

"إنه يود أن يرى الملك" .

ومرة أخرى لم يعط تفصيلات عن سبب رغبته في الزيارة . وكان جلالته على وشك أن يعود من مكة المكرمة إلى الرياض .

(*) المقصود الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود .

فأجيب كرين بأن الملك على وشك السفر وأنه ليس لديه ، مع الأسف ، وقت لمقابلته .

"لقد كان كرين ملحاحاً إذ ذهب إلى البصرة ، وأجرى - من هناك - ترتيبات للسفر إلى نجد بالسيارة عن طريق الكويت .

وقد استعان في ذلك بجون فانيس المبشر المنصر الأمريكي في البصرة الذي بعث معه أحد مساعديه الشبان ليقوده إلى حدود الكويت .

وانطلق الرجلان في سيارتين ومعهما أدلاء عرب وقليل من الخدم .

ومن سوء حظهم أنهم واجهوا - وهم يعبرون الأراضي الكويتية - جماعة من الإخوان بقيادة ضيدان بن حثلين فأطلقت عليهم النار ، وهربت السيارتان بمن فيهما . لكن الشاب الأمريكي أصيب ومات بسبب ذلك . واضطر كرين إلى أن يعود من حيث أتى .

وحين بلغ الملك الخبر غضب غضباً شديداً ، لكن لم يكن هناك ما يمكن عمله .

وقد أعجب جلالته بإصرار كرين ووافق على مقابلته بسرور .

وكان كرين قد وصل حينذاك إلى القاهرة بعد أن أكمل وضع برنامج لبناء طرق وجسور في اليمن . وكان من السهل لذلك أن يرتب معه زيارته لجدّة في بداية السنة التالية(*) .

(*) أي في عام ١٩٣١ م .

وقد وصل كرين إلى جدة في شهر فبراير (شباط) سنة ١٩٣١م، وسافر الملك^(١) إلى هذه المدينة لمقابلته . واستقبله استقبالا حاراً^(٢) . فأقام له الحرس والحاشية عرضة فخمة تلتها عرضة قام بها أهالي جدة وبينهم الحضارمة الذين قاموا برقصات مؤثرة .

ودعي كرين إلى كثير من الولائم ، ومنح شرف الإقامة في بيت الشيخ محمد نصيف الذي كان الملك حتى ذلك الوقت يسكنه إذا أتى إلى تلك المدينة .

وظل كرين في جدة حتى بداية شهر مارس (آذار) ، وأجرى عدة مداولات مطولة مع الملك وابن سليمان . وكانت أحلامه أن يرى في الجزيرة العربية مصانع عظيمة وسدوداً ضخمة وطرقاً واسعة وجسوراً شاهقة^(٢) يستطيع أن يشيدها مهندسوه حين يبدأ استغلال ثروات البلاد .

وقد استمع إليه الملك ووزير ماليته بأدب ، لكن ما كان مطلوباً حينذاك هو المال الذي يستطيع به جلالته أن يدفع ديونه الخارجية ومرتبات موظفيه .

وعلى أية حال فقبل أن يتحقق حلم أي إنسان كان من الضروري أن يكتشف ما إذا كان في الجزيرة فعلاً معادن .

وقد وعد كرين أن يوفد مساحاً خبيراً للبحث عنها . واتفق على أن يدفع (كرين) مرتب ذلك الخبير وأن يمده ابن سعود بما هو ضروري من طعام وسكن ونقلات وحراسة .

(١) المقصود الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود .

(٢) في الأصل : باهراً ، باهرة على التوالي .

وقد أهدى جلالته إلى كرين حصانين عربيين أصيلين . ثم غادر ذلك الأمريكي جدة بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم .

وبعد شهرين من مغادرة كرين وصل إلى جدة (كارل تويتشل) الذي كان مهندساً مدنياً وخبيراً باستخراج المعادن ، وكان يعمل لكرين في اليمن ، فكلفه بالذهاب إلى السعودية ليقوم بالمسح اللازم المتفق عليه .

وتوجه تويتشل إلى عمله فوراً ، وكانت مهمته الأولى أن يزور المناطق المجاورة لجدة وعين العزيزية في التلال المحيطة بها ليرى ما يستطيع عمله لتحسين تجهيزات المياه(*) للمدينة التي كانت تشكو من قلتها .

سافر بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر إلى كل من جازان وينبع ومعه مترجم اسمه أحمد فخري . وبعد ذلك سافر إلى نجد حيث اهتم ، بصفة خاصة بالمنطقة المحيطة بالرس .

وقد وجد هناك تلاً صغيراً فيه عروق من الذهب وآثار قرية قديمة للتعدين . وكانت بعض المساكن المتهدمة لا تزال تحتوي على بقايا أحجار كانت تستعمل في تفتيت الصخر المستخرج من التل .

ورغم أنه قد بدأ بأن الذهب كان لا يزال موجوداً بكميات مشجعة فإن تويتشل لم ير من المجدي محاولة استخراج له لأن الطرق الحديثة تتطلب كميات من المياه أكثر مما كان متوفراً في المنطقة .

(*) في الأصل : الماء .

وبعد عودة تويتشل إلى جدة لفترة من الوقت سافر مرة أخرى عبر نجد إلى الأحساء . وكان معه في هذه المرة (نجيب صالحه) ليرجم له . وأقام هناك شهوراً أعد خلالها تقريراً مفصلاً عن كل ما رآه .

وقد بذل اهتماماً خاصاً بواحات المنطقة ، وأصبح متحمساً لجعل الصحراء تزدهر بواسطة الريّ .

وكان من المعادن التي لاحظها في المنطقة كميات بارزة من الجبس قرب الظهران .

وبعد أن قضى في جزيرة العرب حوالي ثمانية عشر شهراً وجد أن التكوينات الجيولوجية في منطقة الظهران تشير بوضوح إلى احتمال وجود الزيت فيها .

وقد أخذ (تويتشل) تقاريره إلى الملك (عبدالعزیز) . ، وأوضح ما يحتاج إليه للبحث عن الزيت وماذا سيحدث لو عثر عليه . وكان مثل (كرين) يتحدث بطريقة خيالية عن المدن والطرق البرية وسكك الحديد والمطارات والمدارس ، والمستشفيات وغيرها من مظاهر الدولة الصناعية الحديثة التي يمكن أن تنشأ من ثروة الزيت .

ورغم حماسة تويتشل فقد كان جلالته مرتاباً لأنه كان - لا يزال - يعتقد في قرارة نفسه بأنه لم يكن هناك إلا صخور لا قيمة لها تحت صحرائه الجرداء .

لكنه وافق على أنه إذا كان هناك زيت في بلاده فلا بد من العمل لاستخراجه وبيعه . وكان الأمير فيصل (*) حينذاك على وشك السفر لزيارة بريطانيا .

وبناء على تعليمات الملك (عبدالعزیز) ذهبت إليه بنسخة من تقرير تويتشل ، وخلال زيارته لتلك البلاد سلم التقرير إلى حكومتها وعرض عليها ، كما طلب منه والده ، أن يمنحها امتياز الزيت في الأحساء .

وبعد ذلك بوقت قصير استلم الملك (عبدالعزیز) برقية من سفارة بريطانيا في جدة تفيد بأن الحكومة البريطانية تشكره على عرضه لكنها ليست راغبة فيه .

وربما بدأ غريباً أن يعرض ابن سعود امتياز الزيت على البريطانيين بعد أن وجد الأمريكيون مكانه المحتمل ، ولعل ما هو أغرب من ذلك رفض البريطانيين للعرض .

نوه المؤلف ، ص ٣٠١ إلى السبب بقوله : في اعتقادي أن السبب في توجه الملك إلى البريطانيين ربما كان نتيجة لشعوره بأنه مدين لهم لما قدموه إليه من مساعدات في الماضي ، فظن أن عمله هذا قد يكون بمنزلة رد للجميل . أما رفضهم للعرض فقد يكون سببه ، بطبيعة الحال ، مجرد الغباء .

ويضيف المؤلف : لكنني أظن أن مؤثرات أخرى كانت تعمل عملها في هذا الموضوع . كنت أعتقد دائماً أنه من المحتمل وجود اتفاق غير مكتوب بين

(*) المقصود الملك فيصل بن عبدالعزیز آل سعود .

شركات الزيت العالمية وبين الحكومتين البريطانية والأمريكية على أن يسيطر البريطانيون على احتياطي الزيت شرق الخط الأزرق الممتد من شمال العراق إلى قطر، وأن يكون للأمريكيين ما يقع غرب ذلك الخط.

وكان البريطانيون على أية حال، يسيطرون على إنتاج الزيت في إيران والعراق والكويت وقطر، وإلى حد ما في البحرين.

وكان ذلك يفي باحتياجاتهم حينذاك. وكانت لهم مصلحة كبيرة في إدخال الأمريكيين إلى المنطقة لأن ذلك سيمنح هؤلاء فوائد اقتصادية في جزيرة العرب، وهذا بدوره سيشجعهم على إقامة تحالف عسكري مع البريطانيين للدفاع عن المنطقة تجاه الأعداء المحتملين لكلا الطرفين.

إن السبب قد يعود في رأيي الشخصي إلى رغبة الملك عبد العزيز ذاته التأكد من البريطانيين أن ما تضمنه التقرير قريب إلى الواقع باعتبار أن البريطانيين أنفسهم قد كانوا أ سبق من الأمريكيين في اكتشاف الزيت (النفط) في المنطقة.

"وأما السبب في رفض البريطانيين للعرض المقدم من الملك عبد العزيز، فقد يعود أصلاً إلى أنهم يرغبون الأمريكيان بالقيام بالمهمة بالكامل مادام أنهم قد بدأوا في البحث عن الزيت في المملكة العربية السعودية بالإضافة إلى أن البريطانيين أنفسهم يودون بطريقة أو بأخرى وضع حد للمنافسة الأمريكية في المنطقة، لاسيما وأن بريطانيا تسيطر على إنتاج الزيت في كل من إيران والعراق والكويت وقطر والبحرين".

ويشير المؤلف إلى : أنه مهما كانت الأسباب فإن البريطانيين لم يرغبوا في امتياز الزيت ، وكانت خطوة ابن سعود التالية أن حاول الوصول إلى اتفاق مع (تويتشل) نفسه الذي أصبح الملك معجباً به ووثقاً فيه إذ طلب منه يوسف ياسين^(١) ، وفؤاد حمزة^(٢) ، نيابة عن الملك ، أن يكون شركة زيت وطنية للحكومة السعودية على أن يكون له عشرة بالمائة من أرباحها . لكنه رفض ذلك على أساس أنه لم يكن يرى المغامرة عملية .

ومع ازدياد إعجاب يوسف ياسين بمهارة تويتشل التفاوضية رفع حصته المقترحة من الأرباح إلى خمسة عشر بالمائة ثم إلى عشرين بالمائة .

وحين رفض تويتشل ذلك أدرك يوسف ياسين أخيراً أنه كان يعني ما قال من أن المغامرة ليست عملية .

ويعتقد المؤلف : أن هناك سبباً آخر لرفض تويتشل ، وهو أنه كان مرتاحاً جداً من كونه مساحاً . ولم يكن لديه طموح خاص في أن يصبح من عمالقة الزيت . لكنه كان ، ، على أية حال ، مستعداً لإعانة الملك ، فوعد أن يأخذ نسخة من تقريره إلى أمريكا ليرى إن كانت هناك شركة تهتم بامتياز الزيت .

ويشير الكاتب إلى أنه كان كل من في الديوان مسرورين بأن الأمريكيين من المحتمل أن يحصلوا على الامتياز لأن الجميع كان يشعر أن سمعة البريطانيين كانت لا تزال ملوثة بسبب الاستعمار .

(١) كان يشغل - آنذاك - منصب السكرتير الخاص للملك عبدالعزيز .

(٢) كان يشغل - حينذاك - منصب وكيل وزارة الخارجية .

فإذا أتوا من أجل الزيت فلن نكون أبداً واثقين من مدى امتداد نفوذهم على الحكومة أيضاً.

أما الأمريكيون فإنهم سيأتون ببساطة من أجل الثروة، وذلك دافع يقدره العرب ويوافقون عليه بوصفهم تجاراً بطبيعتهم.

وقبل أن يغادر تويتشل المملكة أتى إلى - أى إلى المؤلف - وأخبرني بأنه لا يعرف من سيوجه إليه رسائله من رجال الديوان، وقال: بأنه إذا وجد شركة مهتمة بالامتياز فإنه سيكتب إليّ، وسألني أن أترجم أية رسالة يبعثها وأقدمها إلى الملك، وبعد حوالي شهرين من سفره استلمت رسالته الموعودة، فترجمتها وعرضتها على جلالته فحولها بدوره إلى ابن سليمان.

وقد كانت الرسالة تفيد بأن تويتشل قد وجد شركة مهتمة بالتنقيب عن الزيت، وأنه مستعد للقدوم والتفاوض نيابة عنها، فكتب إلى تويتشل أخبره بوصول رسالته، وبعد ذلك تبودلت رسائل بينه وبين ابن سليمان لم أطلع شخصياً على أية واحدة منها.

ولا بد أن ابن سليمان دعا تويتشل إلى جدة لأنه بعد فترة قصيرة وصل إليها بصحبة رجل اسمه لويد هاملتون مندوب شركة «استاندارد أويل أف كاليفورنيا».

وقد أمر الملك ابن سليمان بتشكيل لجنة للتفاوض مع الأمريكيين، فقرر الوزير أن يقوم بذلك مع الشيخ عبد الله محمد الفضل، والشيخ حسن القصيبي، وطلب مني جلالته أن أكون مترجماً مع اللجنة.

وقد أقامت اللجنة في بناية البغدادي بجدة، وبدأت المفاوضات مع الأمريكيين مباشرة، وحين تقدمت المداولات المطولة الدقيقة اتضح أن العقبة الأساسية كانت موضوع الدفعة الأولى التي ينبغي تقديمها من أجل الامتياز. وبما أن الملك كان لا يزال يشك في وجود زيت في بلاده فإنه كان مهتما بالحصول على دفعة مقدمة كبيرة مقابل حقوق التنقيب أكثر من اهتمامه بشأن العوائد المحتملة مستقبلاً، ولذلك كان ابن سليمان يطالب بقرض مقداره مائة ألف جنيه استرليني شرطاً لمنح حق الامتياز على أن يسدد ذلك المبلغ - إن سدد - من عوائد الزيت إذا استخرج بكميات تجارية.

أما الشركة فكانت تفكر بدفع مبلغ أقل من ذلك بكثير؛ لا يتجاوز خمسة وعشرين ألف جنيه استرليني.

وبعد وقت قصير من وصول هاملتون وتويتشل إلى جدة وجدا أنهما يواجهان منافسة لم تكن متوقعة، ذلك أن وفداً من شركة زيت العراق التي يمتلكها البريطانيون وصل إلى هذه المدينة برئاسة رجل اسمه لونجرج، وقد لحق بهذا الوفد الميجور هولمز ذاته بصحبة مترجم أرمني.

وكانت إقامة هولمز في جدة قصيرة جداً، وقد صحبت ابن سليمان، في مقابلته له، وكان الحديث خلال هذه المقابلة من وجهة نظر هولمز مختصراً إلى حد محزن.

وقد أكد لنا بأنه يمثل مصالح هاملتون ومجموعة الخليج التي قال عنها: بأنها شركة كبيرة جداً. كما أكد أيضاً بأن صفقة رائعة، وإن تكن غير محددة، يمكن التوصل إليها مع شركته إذا منح الامتياز.

لكن ابن سليمان لم يتأثر بأقواله . وقد ذكره بأنه لا يزال مديناً للحكومة السعودية بمبلغ ستة آلاف جنيه ذهبي نتيجة الامتياز السابق .

وقال له : بأنه مادام واضحاً بأن الاعتماد عليه موضع شك ، فإن عليه أن يدفع مبلغاً من المال قبل أن يبدأ أية مفاوضات ؛ وقد ذكر مبلغ مائتي ألف ريال .

لكن هولمز لم يكن مستعداً لدفع هذا المبلغ ، ومن المحتمل أنه كان خائفاً من أن يحتسب ذلك عوضاً عن الايجار غير المدفوع من قبل شركة «ايسترن أند جنرال» (*) .

وفي اعتقادي أنه كان يتوقع أنه يستطيع خداع الحكومة السعودية مرة ثانية ، ويضمن امتياز زيت الأحساء لقاء مبلغ رمزي ، وما إن أدرك أن هذا الأمر بعيد جداً استقل أول سفينة تغادر جدة ، ولم يره أحد مرة أخرى .

أما وفد شركة زيت العراق الذي التقى به كل من فيلبي وابن سليمان فقد بقي في جدة أطول مما بقي هولمز ، وكان أعضاؤه يشبهون أبطال قصة : «أليس إن ووندرلاند» حيث كانوا يتجولون في المدينة زائعي الأبصار ينتقلون من مكان إلى آخر كمن ضيع طريقه .

ولم تكن تلك (الشركة) جادة في سعيها للحصول على الامتياز لأنها كانت كما اتضح فيما بعد ، غير مستعدة أبداً أن تدفع مبلغاً يقرب مما دفعه الأمريكيون بشأن القرض الأول الذي كان الموضوع المهم للسعوديين على أن

(*) أي شركة (Eastern and General) .

هاملتون وتويتشل لم يكونا يعرفان ذلك حينئذ، وكان مجرد وجود وفد من تلك الشركة قد جعل الأمر صعباً بالنسبة لهما إذ لم يعودا المتسابقين الوحيدين في الميدان، فكانا قلقين من أن منافسيهما قد يستطيعون في أية لحظة أن يتغلبوا عليهما.

وكان قد طلب مني أن أقوم بالترجمة بين تويتشل وهاملتون وبين لجنة التفاوض السعودية، كما ذكر سابقاً ثم اشترك فيليب فجأة في المفاوضات وحل محلي مترجماً للأمريكيين، ويبدو أنه كان قد عين من قبل شركتهما لينضم إليهما في المفاوضات، وكان ذلك عملاً ذكياً من الشركة لأنه لم يكن أحد يعرف أفضل من فيليب العرض الذي يحتمل أن يكون مقبولاً لدى الملك (عبدالعزیز)، ولم أفهم أبداً كيف استطاع فيليب أن يوفق بين مركزه باعتبار نفسه مستشاراً للملك وكونه وكيلًا مستأجراً لأحدى الشركتين العالميتين اللتين تتنافسان على زيت جلالته، والواقع أنه حين كان يتفاوض نيابة عن الشركة الأمريكية مع ابن سليمان كان في الوقت نفسه يتقابل مع وفد شركة زيت العراق ممثلاً عن الحكومة السعودية.

لكن مهما كانت دوافعه فإنني اعتقد بأنه كان لا يزال حريصاً على مصالح الملك لأن النتيجة النهائية كانت مفيدة جداً لبلادنا.

وقد استمرت المفاوضات مع الأمريكيين على غرار ما كانت عليه وكل من تويتشل وهاملتون يحاولان زحزحة ابن سليمان عن إلحاحه على دفع مبلغ مقدم برسمهما صوراً وردية لما ستحصل عليه البلاد باكتشاف الزيت من منافع ورخاء.

أما ابن سليمان فقد عاد مرة بعد أخرى إلى النقطة البسيطة ، وهي أن الملك يريد حلاً حاضراً مهما كانت الحلول المحتملة أو غير المحتملة مستقبلاً .

وقد ساعد فيلبي على اجتياز العقبة حين قال لتويتشل : هؤلاء العرب لا يفهمون تفسيراتك النظرية والمثالية بشأن ما سيحدث في المستقبل ! إنهم يريدون أن يعرفوا شيئاً ملموساً ! ماذا سيحصلون عليه الآن ؟ وعليك أن تعرض عليهم مبلغاً نقدياً وإلا فإنك قد تفقد الامتياز نهائياً .

وفي النهاية اقتنع الأمريكيان بضرورة دفع مبلغ كبير من المال مقدماً ، وبعد العديد من المداولات الإضافية تم التوصل إلى اتفاقية مؤقتة تقضي بإعطاء حق امتياز التنقيب عن الزيت في منطقة الأحساء إلى شركة «استاندارد أويل أف كاليفورنيا» لمدة ستين سنة مقابل قرض مقدم خال من الفائدة مقداره ثلاثون ألف جنيه ذهبي ، وقرض آخر مقداره عشرون ألف جنيه ذهبي يدفع خلال ثمانية عشر شهراً ، وكان على الشركة أن تدفع إيجاراً سنوياً مقداره خمسة آلاف جنيه ذهبي ، وأن تعطي قرضاً مقداره خمسة عشر ألف جنيه ذهبي حالما يكتشف الزيت بكميات تجارية .

وبعد ذلك تتسلم الحكومة السعودية عوائد بمعدل أربعة شلنات للطن الواحد من الزيت الخام المستخرج ، وقد نوقشت هذه الشروط بين ابن سليمان والملك ، وبناء على نصيحة فيلبي قرر جلالته أن يقبل بها فكانت توجيهاته إلى ابن سليمان كالعادة بسيطة ومباشرة : «توكل على الله ووقع» .

ووقع ابن سليمان وهاملتون الاتفاقية في التاسع والعشرين من مايو

(نيسان) سنة ١٩٣٣م (٤ صفر عام ١٣٥٢هـ)، وهكذا بدأ عصر الزيت العربي السعودي .

وبقية قصة الزيت معروفة جيداً؛ كان البحث عن الزيت غير مثمر في بداية الأمر، فخابت آمال الجميع سوى آمال الملك عبد العزيز الذي لم يكن يتوقع أن يُكتشف زيت في بلاده .

لكن في سنة ١٩٣٥م ثبت من حفر تجريبي لبئر في الظهران وجود زيت بكميات تجارية .

وبمرور الزمن عرف الحجم الحقيقي المذهل لحقول الزيت، وقد بدأ الإنتاج سنة ١٩٣٨م لكنه انخفض إلى الصفر تقريباً خلال الحرب العالمية الثانية(*) .

ثم صعد بعد ذلك إلى الكميات العظيمة التي تنتج في الوقت الحاضر . وقد أصبحت شركة استاندارد أويل في بداية الأمر شركة زيت استاندارد كاليفورنيا العربية ثم أصبحت شركة الزيت العربية الأمريكية، أرامكو كما هي معروفة الآن عالمياً . .

(*) في الفترة من عام (١٣٥٨هـ) ١٩٣٩م إلى عام (١٣٦٥هـ) ١٩٤٥م .